

أهمية تقويم اللسان وتصحيح اللفظ

لفضيلة الشيخ
أبي عبد الرحمن محمد علي فركوس
أستاذ بجمعية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر



دار الموقف

www.ferkous.com
edition@ferkous.com

القلب وحسن القصد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠].

ويدخل في ذلك المعنى خطأ اللسان في النحو فإن الواجب إصلاح اللسان وتقويمه عن اللحن^(٨)، بغض النظر عن سلامة قلب صاحبه فإنه يُعد عيباً ونقصاً، خاصة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كمن يجعل الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً، فينصب الأول، ويرفع الثاني، ويقرأ بها - على وجه غير مريض - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَتَىٰ آلَ إِبْرَاهِيمَ رَيْثُهُ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ونحو ذلك.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وكان السلف يؤدّبون أولادهم على اللحن، فتحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن يحفظ القانون العربي ونصالح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيباً»^(٩).

وعليه، فإن الخطأ في محتوى الكلام ممّا يرتبط بأمور الدين - مهما سلم قلب المتكلم وحسن قصده -، وكذا الخطأ في النحو وعموم خطاب الناس يُعد من المهالك والعيوب والنقصان، لذلك ينبغي للمتكلم أن يتنبّه إلى ما يدخل في الكلام ممّا هو من آفات اللسان مع مراقبة لازمة ومستمرة لينجو من مثالبها ويسلم من خطرهما ويحذّر الغافلين من الوقوع فيها، والله المستعان. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وأخوانه إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

(٨) اللحن: أي الخطأ. [«النهاية» لابن الأثير (٢٤٢/٤)].

(٩) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٥٢/٣٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السؤال:

ما حكم قول بعضهم إن تقويم اللسان وتصحيح اللفظ غير مهم مع فهم المعنى وحسن القصد وسلامة القلب؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين، أما بعد:

فالمعلوم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه إلا بالنطق بالخير، فقد قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا خَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١)، لذلك كان تصحيح الألفاظ التي فيها لحن أو نوع التباس وتشويش غير لائق مأموراً به لتقويم اللسان عن الخطأ والابتعاد عن الوقوع فيما نهى الله عنه. والدعوى بالألفاظ المشوشة - بغض النظر عن قصد صاحبها - إلى غيرها مما لا يحتمل إلا الحسن هو المطلوب شرعاً، لاسيما في الدقائق اللفظية التي تتعلق بالله وصفاته أو التي يجب تزيينها عنها، فالواجب الحذر من الغفلة عنها والوقوع فيها.

ومثاله: أن المسلمين كانوا يقولون عند مخاطبتهم للرسول ﷺ وحال تعلمهم أمور الدين: «زَاعِنَا» أي: راقبنا واحفظنا وراع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحاً، لكن اليهود استعملوها في معنى فاسد فصاروا يخاطبون النبي ﷺ ويقصدون المعنى الفاسد، أي: مظهرين أنهم يريدون المعنى العربي، ومبطنين أنهم يقصدون السب الذي هو معنى اللفظ في لغتهم، فنهاهم الله عن هذه اللفظة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا زَعًا وَقُولُوا نَعًا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

(١) الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وحسنه

الألباني في «الصحيحة» (٤١٢).

الَيْمُ ﴿١٤﴾ ﴿البقرة﴾، فلو كان الاكتفاءً بسلامة قلب المؤمنين دون تصحيح اللفظ ما نهاهم عن ذلك.

ومن ذلك - أيضاً - قوله ﷺ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فَلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فَلَانٌ»^(٢)، أو أن يقول: «أعوذ بالله وبك» أو «ما لي إلا الله وأنت»، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إِنْ أَحَدَكُمْ لِيُشْرِكَ حَتَّى يُشْرِكَ بِكَلِمَةٍ فَيَقُولَ: لَوْلَا لُسْرَفَتْنَا اللَّيْلَةُ»^(٣)، فالألفاظ هذه - بقطع النظر عن مقاصد أصحابها - تقتضي شركاً؛ لأن في العطف المطلق تشريكاً وتسوية، وقريب من ذلك إنكاره ﷺ على الخطيب عند قوله: «وَمَنْ يَعْصِيهَا فَقَدْ غَوَى»، فقال ﷺ: «قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٤)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمَ رَبِّكَ، وَصُيْ رَبِّكَ، اسْقِ رَبِّكَ، وَلْيُقِلْ: سَيِّدِي، مَوْلَايَ. وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمْتِي، وَلْيُقِلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»^(٥)، ومنه قوله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(٦)، وقد تردت كلمات وألفاظ تتضمن اعتراضاً على الشرع أو على القدر أو يؤتى بها للندم والتجسّر، أو قد يستعملها في الاحتجاج بالقدر على المعصية، وهذا - أيضاً - يرد مع سلامة

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧٢/١)، و«تفسير ابن كثير» (٢٥٦/١).

(٣) أبو داود (٤٩٨٠) من حديث حذيفة رضي الله عنه، والحديث صححه العراقي في «تخريج

الاحياء» (٣٠٠/٢)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧).

(٤) قال محمد العلاوي في «تحقيق شرح كتاب التوحيد لابن باز رحمته الله عليه»: «أخرجه

ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٢٩) من طريق شبيب بن بشر، ثنا عكرمة عن ابن

عباس به، وشبيب مختلف فيه، قال الدوري عن ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم:

لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يخطئ

كثيراً، فهو إلى الضعف أقرب والله أعلم.

(٥) مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٦) البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أبو داود (٤٩٧٧) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه. وصححه الألباني في

«صحيح الجامع» (٧٤٠٥).